ومنحها للبعض الطارئين من الشعوب الذليلة المسكينة ، فماتوا كلّهم ولم يقدروا على شيء ، لأن للحق قوة كقوة النار والحديد ، أأنت التي اخترقت سهام لحظها هذا القلب الذي طالما هزئ بالقنابل والمدمرات ، فجاء يصب جبروته على قدميك ، وأصبح هذا الذي يصرف عشرات الألوف من الكماة المستلئمين تصرفينه أنت وتجرّينه من زمامه ، حتى صار يفكر فيك وهو في ساحة الحرب ، يزلزل الأرض تحت أقدام أهلها ، ويتأمل صورتك والمدوّ على أبواب معسكره لا يخاف عليه أن تحيله الأعداء ، ما يخاف عليك أن تمص لماك غير شفتيه ، أو يضمّ جسمك غير ذراعيه ...

اقترب يا سعادة القائد ، اقترب منها ، فضمها واشرب لماها . إنها هي التي تحب !

* * *

أم أنتما رجلان ؟ أعدوّان أنتما أم صديقان ؟ أكان بينكما مسافة على الأرض ومسافة في الزمان ، أم أنتما رفيقان متلازمان ؟ هل التقيتما في معمل ، أو عملتما في منجم ، أو اشتغلتما في ديوان ، أو اصطحبتما إلى الحرب ، أو تجاورتما في السوق ؟

أم كنتما مضطجعين في قصريكما المتقابلين ، قد مللتما من التسلية ، وشبعتما من الحب ، فأنتما تدفعان العمر دفعاً ، لا تتنازلان أن تنظرا من النافذة إلى هؤلاء البؤساء الذين يشتغلون دائماً وأبداً ، كأنهم آلات تدور ، تحت الشمس في الصيف ، وتحت المطر في الشتاء ، وفي الحرّ وفي الزمهرير ، وفي الصحة وفي المرض ، ليأخذوا بعد ذلك الواحد وتأخذوا أنتم التسعة والتسعين ، مكافأة لكم على غصبكم حريتهم وعسفكم إياهم ، وزرايتكم عليهم ، فتنفقوها على الموائد الخضر ، وفي كؤوس الخمر ، وعلى الشقر والسمر ... ثم إذا خرجتم تمسحوا بأذيالكم ، وقبلوا السياط التي تلهبون بها ظهورهم !

* * *

من أنتما أيها الانسانان ! وما شأنكما ؟ أأنتما هنا لتقولا : إن الملك والغنى ، والمجد والجاه ، والفتنة والجمال ، كل أولئك أثواب تلبس وتخلع ؟

فأيّ معنى — إذن — لقصائد ساداتنا الشعراء العاطفين ؟

(دمشق) علي الطنطاوي

الحجاب في الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

من علماء الأزهر

— ٢ —

أما غير أمهات المؤمنين من نساء المسلمين فلم يفرض عليهن هذا الحجاب الذي فرض عليهن ، لأن فرضه عليهن كان للغرض السابق الخاص بهن ، وقد ترك الاسلام أمر هذا الحجاب للرجل وزوجه ، يجريان فيه على ما تقتضيه المصلحة التي تختلف باختلاف النساء ، وشأنه في هذا شأن غيره من الأمور التي تركها الاسلام لحكم العرف والعادة وغيرهما

ولهذا كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرى مع نسائه على ترك تقييدهن بشيء من أمر هذا الحجاب كالزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جعفر وغيرهم . وكان منهم من جرى على تقييد نسائه به مثل ما قيدت به أمهات المؤمنين ، وقد ورد من هذا أن سلمة بن قيس أرسل رجلاً إلى عمر يخبره بواقعة من الوقائع ، فلما قدم له عمر الطعام نادى امرأته أم كلثوم بنت علي : ألا تأكلين معنا ؟ فقالت له : لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر والزبير وطلحة نساءهم

ولعل الزبير كان يفعل هذا مع زوجه أسماء بنت أبي بكر ، فقد تزوج بعدها عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت امرأة عجزاء بادنة ، ولها جمال وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها ، وهي التي يقول فيها عبد الله بن أبي بكر :

أعاتكُ لا أنساكِ ما ذرّ شارقٌ ... وما ناح قُمْرِيُّ الحمام المطوّقُ

أعاتكُ قلبي كلّ يوم وليلةٍ ... لديك بما تخفي النفوسُ معلّقُ

لها خُلُقٌ جزْلٌ ورأيٌ ومنطقٌ ... وخَلْقٌ مَصُونٌ في حياء ومصدق

فلم أرَ مثلي طلّق اليومَ مثلها ... ولا مثلها في غير شيء تطلّقُ

وكانت عاتكة تحت عبد الله فشغل بها ، وغلبته على رأيه ، فر عليه أبو بكر أبوه وهو في علية يناغيها في يوم جمعة ، وأبو بكر متوجه إلى الجمعة ، ثم رجع وهو يناغيها ، فقال يا عبد الله أجمعت ؟ قال أوصلى الناس ؟ قال نعم ، فقال له أبو بكر : قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة ، وقد ألهتك عن فرائض

الصلاة — طلقها — فطلقها تطليقة ثم ندم على طلاقها وقال هذه الأبيات فيها ، فأذن له أبوه فى مراجعتها ؛ وقد مكثت تحته حتى مات فتزوجت بعده عمر ، ثم تزوجت بعد عمر الزبير . فلما ملكها الزبير قال لها : يا عاتكة لا تخرجى إلى المسجد ، فقالت له : يا ابن العوام — أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فيه ؟ قال فانى لا أمنعك ، فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج ، فقام لها فى سقيفة بنى ساعدة . فلما مرت به ضرب بيده على عجيزتها ، فقالت مالك قطع الله يدك ورجعت . فلما رجع من المسجد قال يا عاتكة مالى لم أرك فى مصلاك ؟ قالت يرحمك الله أبا عبد الله ، فسد الناس بعدك . الصلاة اليوم فى القيطون أفضل منها فى البيت ، وفى البيت أفضل منها فى الحجرة

وهكذا كان بعض الرجال يحاولون أن يفرضوا على نسائهم هذا الحجاب بحكم الغيرة لا بحكم الدين ؛ وكانت عائشة رضى الله عنها هى التى حالت بين النساء والمساجد ، وكن يصلين فيها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تقوم صفوفهن خلف صفوف الرجال . فلما فتحت الأمصار وأقبلت الدنيا على المسلمين ظهرت المرأة فى زينتها ، وأخذت تحضر إلى المسجد بحالة تدعو إلى الفتنة ، فرأت عائشة فى حضورهن المساجد هذا الرأى ، وقالت فى ذلك : لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل

ولقد كان فى نفسى شىء من هذا المنع إلى أن شفاها منه عالم الأندلس ، وإمام أهل الظاهر ، أبو محمد على بن حزم . قال رحمه الله وأرضاه : أما ما حدثت عائشة فلا حجة فيه لوجوه :

أولها أنه عليه السلام لم يدرك ما أحدثن فلم يمنعهن ، فاذا لم يمنعهن فمنعهن بدعة وخطأ ، وما نعلم احتجاجا أسخف من احتجاج من يحتج بقول قائل لو كان كذا لكان كذا

ووجه ثان وهو أن الله تعالى قد علم ما يحدث النساء ، ومن أنكر هذا فقد كفر ، فلم يوح قط إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بمنعهن من أجل ما استحدثنه ، ولا أوحى تعالى قط إليه — أخبر الناس إذا أحدث النساء فامنعوهن من المساجد

ووجه ثالث وهو أننا ما ندرى ما أحدث النساء مما لم يحدثن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاشىء أعظم فى إحداثهن من الزنا ، فقد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجم فيه وجلد ، فما منع النساء من أجل ذلك قط

ووجه رابع ، وهو أن الأحداث إنما هو لبعض النساء بلا شك دون بعض ، ومن المحال منع الخير عمن لم يحدث من أجل من أحدث ، وقد قال تعالى : (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)

ومن يدقق النظر فى ذلك يجد أن هذه المحاولات فى الحجر على النساء كانت ترجع إلى أسباب اجتماعية لا دينية ، وأن الرجال كانوا يلجأون إلى هذا الحجر إذا أسرف النساء فى استعمال ما أطلق الشارع لهن فى هذا الأمر ، وقد بدأ الرجال كما ذكرنا يلجأون إلى ذلك بعد قليل من عهد النبوة ، حتى كان ذلك يخرج بهم إلى حد الاثم . قال صاحب الأغانى : قال إسحاق قال المدائنى وأخبرنى أبو مسكين عن فليح بن سليمان قال : كان الدلال ملازماً لأم سعيد الأسلمية ، وبنت ليحيى بن الحكم بن أبى العاصى ، وكانتا من أعجن النساء ، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلاخيلهما ، فقال معاوية لمروان : اكفنى بنت أخيك ، فقال : أفعل ، فاستزارها وأمر ببئر فحفرت فى طريقها وغطيت بحصير ، فلما مشت عليه سقطت فى البئر فكانت قبرها

وقد كانت النساء الحرائر من العربيات وغيرهن يقاومن ما يحاوله الرجال من الحجر عليهن ، ولا يفرطن فيما أباحه الشارع لهن ، كما سبق من عاتكة بنت زيد مع زوجها الزبير ؛ وقد حاول عمر قبله ذلك معها أيضاً . روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تحت عمر بن الخطاب وكانت تشهد الصلاة فى المسجد ، وكان عمر يقول لها : والله إنك لتعلمين أنى ما أحب هذا ، فقالت : والله لا أنتهى حتى تنهانى ، قال عمر : فانى لا أنهاك ، فلقد طعن عمر يوم طعن وإنها لفى المسجد

فلما أخذ الرجال يفضلون الاماء على الحرائر ضعفن عن هذه المقاومة ، وآل الأمر بالرجال إلى أن جعلوا بيوتهم سجناً للنساء ، وحرموا عليهن الخروج إلى المساجد وغيرها ، ومنعوهن من الاختلاط بالرجال ولو فى حضورهم . ثم طال الأمر على ذلك بين المسلمين حتى ظن أنه من دينهم وما هو منه فى شىء ، وإنما كان مثل هذا مفروضاً على نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يبلغ فى الشدة إلى مثل هذا الحد ، ثم انتهى ذلك بموت ميمونة رضى الله عنها ، وكانت فيما قيل آخرهن موتاً ؟

(الكلام بقية)

عبد المتعال الصعيدى